لبنان الماسونيين
من
حيرام الى جبران خليل جبران

جان مارك عرقتنجي
ناجي علي امهز



لبنان الماسونيين

من حيرام الى جبران خليل جبران

ملخص الكتاب

لبنان الماسونيين
من حيرام
الى جبران خليل جبران

جان مارك عرقتنجي

ناجي علي امهز

توطئة

هذا الكتاب لا يُقترح على القارئ، ولا يهادنه، ولا يعده بمتعةٍ سهلة أو معرفةٍ بسيطة

.

هو دعوةٌ للانتقال من وهم "امتلاك الحقيقة" إلى **"فهم الحقيقة"**، ومن تراكم القراءة إلى **"مسؤولية الغرس والبناء"**.

فليست المعرفة ما نُكّدسه في رؤوسنا، بل هي الوعي باللحظة التي يجب أن نكفَّ فيها عن الإضافة لنبدأ بالتجذّر. وليست العمارة مجرد رصِّ حجارة، بل هي إدراك الوقت الذي يصبح فيه "الهدم" شرطاً لانبثاق الروح.

ذلك أن هدم الزيف بناءٌ من نوعٍ أسمى، كما أن تراكم الفضيلة بلا وعي قد ينقلبُ إلى سياجٍ يحمي الرذيلة.

هذا نصٌّ يثقل العقل، لا ليرهقه، بل ليعيده إلى فطرته الأولى.
إنه يضغط على الوعي كما يضغط المزارع بيده على باطن الأرض:
لا ليخنقها، بل ليمسَّ نبضها الكامن ويستولد خصبها.

فالأسرار لا تُكتشف في الخزائن الموصدة لتاريخ البيروقراطية الفلسفية، بل في ذلك الشعور القوي الذي يمسك الروح ويقودها الى ما يشابهها او من تنسجم معه وتناقد اليه بالمعرفة.

فلا حاجة لك هنا أن تكون فيلسوفاً بيروقراطياً تضيع في أروقة الكلمات؛ يكفيك أن تكون **"فلاحاً للمعنى" "معمارا**

للحقيقة"، تعرفُ طبيعتك جيداً لدرجة تُمكّنك من التحدث مع كل شيءٍ حولك.

كن "فيلسوفاً فلاحاً معماريا"؛ قدميك في عمق الأرض، بينما فكرك باتساعه يلامس عنان السماء.

كل فقرة هنا حجرٌ في بناء، وكل كلمة هي بذرة؛ إن عبرتَها مروراً عابراً، فقد أغلقتَ باباً كان ينتظر أن يُفتح. فالحقيقة لا تُعطى للعابرين، بل لمن يعرفون كيف يتوقفون بخشوعٍ أمام ثبات الصخر وطهر التراب.

جان مارك عرقتنجي

لمجد مهندس الكون الأعظم

المقدمة

فاتحة العهد: في حضرة الصمت وتجليات المعماري الأوّل

بقلم: جان مارك عرقتنجي وناجي علي أمهز

في البدء، لم يكن هناك سوى الصمت السديميّ؛ سكونٌ مطلق يغلف الوجود، وغبارٌ كونيّ يتراكم ببطءٍ جنائزيّ على حواف التاريخ المقبور. في ذلك الزمان الغابر، كانت نفحات الروح شبه معدومة، وكلُّ شيءٍ ساكنٌ سكون الموت، حتى عجلة الحياة كانت تدور في رتابةٍ قاتلة، والأيام تتوالى كنسخٍ متطابقة لا نبض فيها. كان البشر ينظرون في وجوه بعضهم البعض، لا بحثاً عن ملامح، بل هروباً من ذاك الاستنساخ الرتيب، حيث المنطق واحد، والوجهة واحدة، والعمل كدحٌ مكررٌ في فراغ المعنى.

توقف الوقتُ برهةً، بينما الروح الإنسانية، التواقة بفطرتها إلى المعرفة الأزلية والكمال المطلق، كانت تضطرب في مكمنها؛ لا بحثاً عن ماضٍ اندثر ولا استشرافاً لمستقبلٍ غامض، بل بحثاً عن "الأنا المعرفيةً" التي هي علة الوجود، وسرُّ البقاء، ومحرك التطور. لم ينظر الإنسان القديم في وجه قرينه بقدر ما شخص ببصره نحو القباب السماوية لآلاف السنين، باحثاً عن ذاته المتشظية بين النجوم، لا عن الفضاء المجهول. ومن رحم هذا التوق، انفتحت بوابات السحر، ثم تلتها الأساطير، حتى تجلّت الفلسفة في أبهى صورها، فصارت الكلمات العظيمة تُوزن بالذهب والفضة لحكمتها، وانتشى الإنسان باكتشافه لقوة العقل نتشةً بلغت انه اصبح مهيأ لولادة فكرة الاله فيه فكانت الاديان السماوية الإلهية، وما فيها من طقوس وعبادة من واجبات وقيم.

ومع انهمار الأسئلة، بدأ الإنسان يرفع إصبعه نحو الأفق متسائلاً بذهول: "لماذا لا أشعر بشيءٍ حين ألمس الفراغ، بينما حين أغرس يدي في التراب أشعر بكنه الوجود؟ هل لأن جسدي طينةٌ أرضية، بينما روحي قبسٌ من عالمٍ علويّ غريب؟". ثم جاءت الأديان، فظنّ الإنسان أنه استوى على عرش تطوره الروحي الذي سيخلّده أبد الدهر، ان كان في ملكوت السماء او جنات النعيم وكما على الارض اصبح يبحث ويجد اكثر في الانصهار بالاديان ليكون مقامه في العالم الاخر كما على الارض، اعلى وارفع واعظم. ومع صراع الميثيولوجيات الدمويّ أحياناً، شعر الإنسان أن "الفكرة العظيمة" تستحق التضحية الكبرى. وما لبث البحث أن استقرّ في وجدانه، وصارت الأديان طبيعةً ثانية، كالمذاهب الفكرية، لينطلق نحو بُعدٍ أعمق؛ انكبّ على الكتب السماوية، ونبش في أساطير الأولين، وبدا بجمع شتات المعرفة البشرية وما هبط من السماء في كتابٍ واحد كي يجسد خلوده الأزليّ.

في غمرة هذا البحث المضني، لاح بصيص أملٍ في إدراك "جزئية المعرفة"، فجمعها كالأحجار الكريمة لينظمها في قلادة من الذهب لينال القوة المطلقة. وهناك، عند تقاطع الأسرار، برز اسمان جليلان: ملك اليهود العظيم، وهو نبي المسلمين المهيب، "سليمان بن داوود"، الذي أُوتي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده. وبينما كان العارفون يغوصون في فهم ملكوته، انبثق اسمٌ كان بريقاً خافتاً خلف العظمة، وتسال العقل وانتفضت الحواس وسارت الريبة البشرية، لتحول هذا المزيج من عطر الاسم وغرابته وكأنه السرُّ المحرك لكل هذا الجلال.. اسم "حيرام".

انبثق اسم "حيرام" كصرخةٍ مكتومة خلف جدران الهيكل العظيم، أو كلغزٍ نقشه إزميلٌ غامض على حجر الزاوية. هناك، قبل ثلاثة آلاف عام، نُسجت أعظم الروايات التي رسمت ملامح حاضرنا ومستقبلنا؛ تطورٌ صاغته الأرقام، وصقله الإزميل، وثبّت استقامته الوجودية "شاقول البناء".

من هنا كان هذا الكتاب الذي بين أيديكم لكنه ليس مجرد سيرة ذاتية، بل قد يكون بعد ثلاثة آلاف سنة أخرى هو الأثر الأقرب للباحثين عن الحقيقة. هو بحثٌ فلسفيٌّ غائر في التاريخ، يقتفي أثر شخصية مهيبة ضاعت ملامحها بين طيات الكتب المقدسة، وأساطير الغابرين، وإشراقات العارفين المتنورين من "البنائين الأحرار". هو كشفٌ لأسرارٍ آتية من "صور" اللبنانية؛ ذلك "اللبنان" الذي رافق أرزه حياة الفينيقيين الأوائل، فصار "اللبناني" لقباً قبل الألقاب، ومرتبةً قبل تصنيف الكيانات والامبراطوريات. أن تكون لبنانياً، يعني أنك آتٍ من "أرض الرب"، تحمل بركة الخلود وتصنع معجزات البقاء.

وقفتُ طويلاً أمام مرآة النصوص القديمة متسائلاً: هل كان حيرام عظيماً لأنه من لبنان، أم أن لبنان هو الذي مهّد لحيرام طريق الوصول إلى ملك سليمان ليُخلّد في ذاكرة الدهر؟ رأيت "حيرام" يتجلى في هيئات شتى: ملكاً ينوء تحت ثقل الذهب، وسباك برونز غريب الأطوار، تسكنه أسرار "فن الخط" والهندسة المستمدة من معابد مصر المشبعة بالسحر. واليوم، ندرك أن أولئك البنائين الذين خلدوا عظمة التاريخ، صاروا هم أنفسهم رواسي كالجبال في وجدان البشرية.

في هذا العمل، لم أشأ الاكتفاء بسرد الوقائع، بل أردت الغوص في تلك "الحيرة" الوجودية: هل "الجن" هم بناة الهيكل كما روت الأديان، أم أن "حيرام" كان الرجل الغامض الذي طابق مقاييس الحجر مع مقاييس جسد الإنسان؟ إنه العطش لفك طلاسم العلاقة بين الروح والجسد، الصخر والشجر، وعلوم الأرقام وهندستها الفلسفية. لماذا هذا الخلط التاريخي بين "حيرام" و"أدونيرام"؟ ولماذا اختار الماسونيون في محافلهم القروسطية أن يكون هذا الحرفي "أباً روحياً" لهم؟ وكيف تحولت "ضربة الإزميل" إلى لغة تخاطب الروح، مشيدةً صرحاً إنسانياً مهيباً؟

سيجد القارئ نفسه في متاهةٍ مقدسة فكريا؛ فبينما يقدمه "سفر الملوك" كابن أرملة ممتلئ حكمة، ينسب إليه "سفر الأخبار" مواهب تلامس الخوارق. وفي أديانٍ أخرى، نجد البنيان يُنسب للجن لشدة إعجازه، وكأن الإنسان حينها كان عاجزاً عن إدراك عبقريته. انطلقتُ مع أخي ناجي علي أمهز في رحلة نحو الأزمان السحيقة، كأننا مسافرون عبر الزمن من المستقبل القرن الواحد والعشرين، الى الماضي حيث الألفية الاولى قبل الميلاد، لنخبر الأوائل عن عمرانٍ وطائراتٍ ومركبات فضائية صنعها "العقل البشري" بعجزٍ يحاكي إعجاز المعمار القديم.

كما كانت المعرفة في الالفية الاولى قبل الميلاد لم تشبع عقل الانسان، فان المعرفة اليوم لم تشبع او تروي عقولنا، إننا نبحث عن العقل الكامل "الأستاذ الكامل" لنصل إلى "الإنسان الكامل"؛ ذلك الذي أراده المهندس العظيم لإله الأكوان أن يكون على مثاله، يقول للشيء "كن فيكون".

رحلتنا لم تتوقف عند حدود التوراة، بل امتدت إلى رحاب القرآن الكريم، حيث يظهر "سليمان" (عليه السلام) النبي-الملك الذي يسخر الرياح ويحكم الجن. هناك، نجد العمارة في أسمى تجلياتها الإعجازية: "محاريب وتماثيل وجفان". إنها فلسفة القوة الإلهية التي تصطدم بالرؤية الرومانسية التراجيدية لـ "جيرار دي نيرفال"؛ ذلك الكاتب الذي صاغ مأساة غيرة الملك من معماريه، حيث تتحول القداسة إلى مكيدة لمحو من يشارك في السلطة المطلقة. تلك هي الطبيعة البشرية التي لم تتغير رغم تغير كل ما حولها.

كما نعرض في هذا الكتاب رواية ثالثة تحاكي الرمز الماسوني :. و"النقاط الثلاث" المحيطة بحيرام؛ تلك الرواية التي ظلت حبيسة الخوف من السؤال. واليوم، أمام "نور الحقيقة"، نتساءل: هل حيرام موآبيّ الأصل؟ إذا كان "بوعز" قد تزوج "روت الموآبية" ليصبح جد داود وسليمان والمسيح، فهل هناك خيطٌ يربط حيرام بهذا النسب؟ لقد تأمل الإخوة بخشوع أمام كلمة "بوعز" وكلمة "شيبوليت" (السنبلة)، التي ترمز لحقل روت الأرملة. فهل "أبناء الأرملة" هم إشارة رمزية لأصل جدة حيرام؟

في هذا الكتاب، نطرح السؤال الجوهري: هل حيرام هو "الشخص" أم هو "السر"؟ تتبعنا كيف صار موته في المحافل الماسونية طقساً للولادة ومبعثاً جديداً للإنسان. بين صفحات هذا

العمل، تلتقي الأديان وتتصارع الأساطير؛ سنرى سليمان الحكيم، والنبي، والملك، والسلطان.. وسنرى حيرام الذي يمثلنا جميعاً: الكائن الذي يبني الأبديّ وسط الزائل، المعماري الذي اختفى وترك الهيكل شاهداً على حيرة البشر.

أدعوكم لدخول هذا الرواق، حيث التاريخ حكاية، والأسطورة هي الحقيقة التي لا تموت. أما لبنان، توأم الأسرار الكونية، فيبقى عصياً على الفناء، جلاله وجماله قِطعةٌ من السماء، صُمم ليكون المسرح المهيب لحياةٍ أبدية يحملها اللبنانيون في جيناتهم. فكما خطت السماء: "لبنان هو لبنان". هذا اللبنان، الأرض الأم للمشرق، وطن صوت الأنبياء من إبراهيم إلى محمد، ومدرسة المستنيرين من الدروز والإسماعيليين والعلويين وفرسان الهيكل، يظل شاخصاً في قلب الماسونية العالمية، حاملاً لقب "أمير لبنان" في أرفع درجاتها.

يُعد كتاب **"لبنان الماسونيين: من حيرام إلى جبران خليل جبران"**، لمؤلفيه **جان مارك عرقتنجي وناجي علي أمهز**، عملاً فكرياً وفلسفياً غزيراً يغوص في أعماق الرمزية والروحانية، محاولاً الربط بين تاريخ لبنان العريق، والأسطورة الماسونية، والإرث الأدبي والإنساني.

فيما يلي تلخيص موسع وشامل لمحتويات الكتاب وأفكاره الأساسية، مقسماً وفقاً لمحاوره الكبرى:

المقدمة: فلسفة البناء وفهم الحقيقة

يبدأ الكتاب بتوطئة تضع القارئ في مواجهة مع الذات، معتبرة أن المعرفة ليست مجرد تكديس للمعلومات، بل هي "مسؤولية الغرس والبناء". يدعو المؤلفان القارئ لأن يكون "فلاحاً للمعنى" و"معمارياً للحقيقة"، مشيرين إلى أن هذا النص يهدف لإيقاظ الوعي والعودة بالإنسان إلى فطرته الأولى.

ينطلق الكتاب من رؤية ماسونية كونية (لمجد مهندس الكون الأعظم)، حيث يعتبر أن الوجود بدأ من "صمت سديمي" تحول ببطء إلى عجلة حياة نبضت في الإنسان القديم الذي بدأ يرفع إصبعه نحو الأفق متسائلاً عن علة الوجود. هذا البحث هو ما قاد إلى تشكل الأديان والفلسفات والجمعيات السرية التي تهدف لبناء "الهيكل الإنساني الكامل".

الجزء الأول: أسطورة حيرام – المعماري الأول والرمز اللبناني

يركز هذا الجزء على شخصية **حيرام أبي (Hiram Abiff)**، الشخصية المركزية في الدرجة الثالثة من الماسونية (درجة الأستاذ).

1. **حيرام والعمق الفني:** حيرام ليس مجرد حرفي بارع أرسله ملك صور (حيرام ملك صور) إلى الملك سليمان لبناء هيكله، بل هو رمز لـ "الإنسان الكامل". هو ابن أرملة من سبط نفتالي، يمثل التلاقح بين الأرض (المادة) والسماء (الروح).
2. **دراما الاغتيال ورمزيته:** يتناول الكتاب طقس "موت حيرام" على يد ثلاثة رفقاء (يمثلون الجهل، التعصب، والطموح الأعمى). هذا الموت ليس نهاية، بل هو "كيمياء تحول"، حيث يولد الأستاذ من جديد عبر "قبضة الأسد" الماسونية، ليكون حياً في روح خلفائه.
3. **لبنان كمنطلق للهيكل:** يشدد المؤلفان على أن خشب الأرز اللبناني وصخور جبال لبنان هي المادة الخام التي بُني منها أول هيكل روحي في التاريخ. حيرام اللبناني هو الذي "طوّع الصخر" ليحوله إلى "كلام مقدس".
4. **القيم الثلاث:** يربط الكتاب بين حيرام وبين الثالوث الماسوني (الإرادة الإلهية ممثلة بسليمان، عظمة المادة ممثلة بملك صور، وعبقرية المعمار ممثلة بحيرام).

الجزء الثاني: الدروز (الموحدون) – لاهوت العقل والماسونية الباطنية

في فصل مثير للجدل والبحث، يحاول المؤلفان إيجاد نقاط تلاقٍ عميقة بين مذهب التوحيد (الدروز) وبين الفلسفة الماسونية.

1. **الموحدون كـ "بنائين للباطن":** يعتبر الكتاب أن الدروز هم "معماريو العقل". فكرة "الخلوة" الدرزية تقابل "غرفة التأمل" الماسونية، حيث يواجه الإنسان نفسه ليتحرر من "عبادة الطين" (المادة) ويصل إلى "عبادة المعنى".
2. **لاهوت العقل:** يركز الدروز على "العقل" كأول المخلوقات، وهو ما يتفق مع الرؤية الماسونية لمهندس الكون الأعظم الذي أوجد الكون بنظام هندسي عقلاني.
3. **رمزية الأعداد (3، 5، 7):** يحلل الكتاب كيف أن الأرقام المقدسة في الماسونية (الدرجات الثلاث، الحدود الخمسة، والسنوات السبع) لها انعكاسات في الفلسفة الدرزية وفي الطبيعة الكونية.
4. **التقمص والارتقاء:** يتطرق الكتاب إلى فكرة "قمصان النفس" لدى الدروز، معتبراً إياها مختبراً للترقي الروحي المستمر، حيث تخلع النفس جسداً لتلبس آخر في رحلة نحو الكمال، تماماً كما يترقى الماسوني من "حجر خام" إلى "حجر مصقول".

الجزء الثالث: جبران خليل جبران – إزميل الكلمة في محراب الأرز

يُعد هذا الجزء جوهر الكتاب الحديث، حيث يُقدّم جبران خليل جبران كـ "حيرام العصر الحديث".

1. **جبران "ابن الأرملة":** يسقط المؤلفان لقب "ابن الأرملة" (اللقب الماسوني الشهير) على جبران، الذي عانى من اليتم الروحي والجسدي، وبنى نفسه بنفسه (Self-made man) ليصبح عالمياً.
2. **نقد المؤسسة الدينية:** يرى الكتاب في تمرد جبران على السلطة الدينية الجامدة (كما في "الأرواح المتمردة" و"خليل الكافر") انعكاساً للرفض الماسوني للتعصب

والجهل. جبران لم يكن كافراً بالله، بل بـ "الأصنام البشرية" التي حجبت نور الله.

3. **تحليل كتاب "النبي":** يعتبر المؤلفان أن كتاب "النبي" (المصطفى) هو "دستور الهيكل الروحي". رحلة "المصطفى" من "أورفاليس" إلى سفينته هي رحلة الأستاذ الماسوني الذي اكتملت معرفته وقرر العودة إلى المصدر الأول.
4. **العمل كصلاة:** مقولة جبران "العمل هو الحب تجسد في مادة" هي جوهر الماسونية العملية، حيث يتحول البناء المادي إلى فعل روحي مقدس.
5. **المسيح الجبراني:** جبران صوّر المسيح كـ "بناء عظيم" و"ثائر"، وليس كضحية ضعيفة، وهذا يتفق مع رؤية الماسونية للمسيح كمعلم كبير للنور.

الجزء الرابع: الرموز الكونية وحوار الروح

يتناول الكتاب مجموعة من الرموز التي تربط هذه الأقطاب الثلاثة (حيرام، الدروز، جبران):

- **طائر الفينيق:** هو الرمز الأكبر للبنان وللماسونية. الفينيق الذي يحترق ليقوم من رماده يمثل عملية "الموت والولادة الثانية" التي يخضع لها المرشح في الطقوس الماسونية، ويمثل جبران في تحولاته الفكرية، ولبنان في انبعاثه الدائم.
- **خيمياء الألم:** الألم عند جبران ليس للعذاب، بل هو "تحطيم القشرة التي تغلف الفهم"، تماماً كما يقوم البناء بصقل الحجر الخشن لجعله لائقاً بالهيكل.
- **اللغة الكونية:** يجادل الكتاب بأن الماسونية وجبران كلاهما سعيا وراء لغة عالمية تتجاوز الأديان والطوائف، لغة "الإنسانية الواحدة".

الجزء الخامس: لبنان كـ "قبلة للنور"

في الختام، يخلص الكتاب إلى أن لبنان ليس مجرد بقعة جغرافية، بل هو "فكرة كونيّة".

1. **رسالة أرز لبنان:** الأرز ليس شجراً فقط، بل هو رمز للخلود والشموخ والارتباط بالأرض مع التطلع للسماء.
2. **الذكرى الثلاثمائة:** يربط الكتاب بين تاريخ تأسيس الماسونية الحديثة (1717-1723) وبين الحركات التنويرية في لبنان، معتبراً أن لبنان كان دائماً مهداً "للبنائين الأحرار" حتى قبل مأسسة الماسونية بشكلها الحالي.
3. **الخاتمة الروحية:** يوجه المؤلفان نداءً للقارئ: "لا تبنوا صروحكم من حجر، بل ابنوها من أحلامكم؛ فالحجر يزول والحلم يبقى". لبنان، بحسب الكتاب، هو الهيكل الحقيقي الذي يلتقي فيه حيرام (المعمار) بجبران (الشاعر) في وحدة صوفية ماسونية.

أهم الأفكار التي ركز عليها الكتاب (النقاط الجوهرية):

- **تجاوز التاريخ المادي:** الكتاب لا يؤرخ للماسونية في لبنان بشكل تقليدي (أسماء محافل وتواريخ)، بل يؤرخ لـ "روح الماسونية" وتجلياتها في الفكر اللبناني.
- **لبنان كمركز ثقل إشراقي:** التأكيد على أن الإرث الفينيقي (صور وصيداء) هو أصل "بناء الهيكل" الفكري قبل أن يكون مادياً.
- **الوحدة الإنسانية:** الدعوة إلى التحرر من "أصنام الطائفية" والعودة إلى "دين العقل" والحب الإنساني الشامل.

- **جبران كرمز ماسوني:** تقديم تحليل فريد لأدب جبران يثبت تشبعه بالرموز الماسونية (البناء، الصقل، النور، الموت والبعث، الكلمة المفقودة).

الخلاصة:
كتاب "لبنان الماسونيين" هو محاولة طموحة لدمج الهوية الوطنية اللبنانية بالهوية الفلسفية العالمية. يرى المؤلفان أن لبنان هو "الأرض الأم" التي صدرت للعالم سر البناء (حيرام) وسر الكلمة (جبران)، وأن الطريق إلى خلاص الإنسان يمر عبر "هدم" الجهل والتعصب و"بناء" هيكل التسامح والنور في قلب كل فرد.

الخاتمة

خاتمة الملحمة: إنجيلُ النورِ وانبعاثُ الفينيق الكوني

في الذكرى الثلاثمائة لتأسيس عهد البنائين الأحرار 1725-2025

يا سدنةَ الهيكلِ القائمِ في أعماقِ الأنفس، ويا طارقي أبوابَ الحقيقةِ في ليلِ المادة؛ قفوا بخشوعٍ أمامَ هذا الختام، فما نحنُ بصددِ قراءتهِ ليس نهايةَ كتاب، بل هو "بدءُ التكوينِ الثاني".

لقد أتممنا معاً ثلاثة قرون وقبلها ثلاثون قرنا من "العملِ في الظل"، منذ أن وُضعَ حجرُ الزاويةِ لهذا العهدِ العظيم في عام 1725، واليوم، في مطلعِ هذه الألفية، نُعلنُ بلسانِ المعرفةِ المستنيرة أنَّ حيرام لم يمت، وأنَّ جبران لم يرحل، بل تحولا من رتبةِ "الشخص" الفاني إلى رتبةِ "القانون" السرمدي. إنَّ الفينيق الذي انبعثَ من رمادِ بشرّي، وصهرتهُ شمسُ صور، وحفظتهُ خلواتُ الجبل، يرفرفُ اليومَ فوقَ كلِّ صفحةٍ قرأها جائعٌ للمعنى، وفوق كلِّ لوحةٍ تأملها باحثٌ عن النور.

وصيةُ المعمارِ الثاني: عهدُ الأحلامِ لا الحجارة

لقد انتهى عهدُ "الطين"، وبدأ عهدُ "الأنا الكونية" التي نذرَ لها جبران خليل جبران حياته. لقد عاد المعماريُّ اللبنانيُّ ليكون هو "النسيم" الذي يلقي تحية الصباح على سنابل القمح، وهو "البرق" الذي يشقُّ ظلام العقول ليزرعَ فيها شعلةَ اليقين. إنَّ رسالةَ جبران الختامية لنا هي ذاتها "وصيةُ البناء الأكبر":

"لا تبنوا صروحكم من حجر، بل ابنوها من أحلامكم؛ فالحجرُ يزول، والحلمُ يبقى هو الحقيقة الوحيدة التي لا يطالها الفناء".

سلامٌ على روحكَ يا نبيَّ الأرز، يا من علمتنا أنَّ الموت ليس إلا "ذوباناً في الشمس"، وأنَّ لبنان هو "البداية" التي لا تنتهي، هو المختبرُ الذي يصهرُ الحديدَ ليخرجَ منه ذهبُ الحكمة.

انبعاثُ الفينيق من مِسْكِ التوحيد

وفي ختامِ رحلتنا التي انطلقت من إزميلِ حيرام، وعبرت بريشةِ جبران، واستقرت في عقلِ الموحدين، ندركُ اليومَ بيقينٍ لا يتزعزع أنَّ **"لبنان هو لبنان"**؛ إنه ليس صدفةً تاريخية، بل هو "حتميةٌ إشراقية". إنَّ طائرَ الفينيق الذي احترقَ في أرزِ لبنان، بُعثَ من جديد في "خلواتِ العارفين" التي حافظت على العقلِ في زمنِ إغلاقه، وحفظتِ "الكلمة" بالصمتِ في زمنِ الكلامِ العبثي.

إنَّ رسالةَ هذا الجزء الأخير هي ذاتها "خلاصةُ الإنجيلِ الماسوني":

"كن حراً بعقلك، مخلصاً لأخيك، ساجداً للجمال، وعاملاً في سبيلِ الكمال".

الخاتمةُ السرمدية: لبنانُ قِبلةُ النور

الهيكلُ الذي بدأ حيرام ببنائه من صخرِ صور قبل آلاف السنين، لا يزالُ يُبنى اليوم في قلوبِ كلِّ من آمنَ بأنَّ "الواحدَ" يتجلى في "الكل"، وأنَّ لبنان هو القِبلةُ الروحيةُ التي تلتقي عندها كلُّ مساراتِ النورِ العالمية.

اليوم، ونحنُ نُحيي ثلاثمائة عامٍ من البناءِ والترقي، نضعُ حجرَ القفلِ (Keystone) في قوسِ هُذا الكتاب، لنُعلنَ للعالمِ أنَّ القداسةَ ليست في ّالمكانِ المادي، بل في "السلوكِ المعماري" للروح. لبنان هو الهيكلُ الثالث، وهو المِحرابُ الذي لا يُوصد، والكلمةُ التي لا تُنسى.

وبهذا، توصدُ أبوابُ الكلام.. وتُطوى صفحاتُ المداد.. لتبقى أبوابُ "الفعل" مفتوحةً نحو الأبدية.

فليكن كذلك إلى أبد الآبدين.

